

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قف... قبل الندم!

قف؛ فتوانٍ تنتظرها خيرٌ من عمرٍ تندم عليه.

قف؛ فوصولك متأخرًا دقائق، خيرٌ من ألا تصل أبدًا. **قف؛** فلعل خلف هذه الإشارة أمًّا تنتظر ابنها، وزوجةً تنتظر زوجها، وأطفالًا ينتظرون أباهم.

إن من نعم الله علينا هذه المركبات التي اختصرت المسافات، وقربت البعيد، ولكن هذه النعمة قد تتحول في لحظة إلى نقمة، إذا غابت المسؤولية، واستُهين بالنظام، وغلبت العجلة.

أرقام وأرواح.

عباد الله، إن الحديث عن المرور ليس حديثًا عن مخالفةٍ وغرامةٍ فحسب، بل هو حديث عن دماء وأرواح وأسر؛ عن طفل فقد أباه، وأمٍ فقدت ابنها، وزوجةً أصبحت أرملة.

وقد شهدت بلادنا -بحمد الله- تحسناً كبيراً في السلامة المرورية؛ فقد كانت وفيات الطرق سنة ألف وأربعمائة وسبع وثلاثين للهجرة أكثر من تسعة آلاف، ثم انخفضت حتى بلغت بعد عشر سنوات نحو أربعة آلاف وفاة. ومع هذا التحسن الكبير، فإن أربعة آلاف نفس في عام واحد رقمٌ يستحق أن نقف عنده طويلاً.

ولعل من المشاهد التي لا تُنسى ما نشرته جريدة الرياض عن حادثٍ فقدت فيه أسرةٌ أحد عشر فرداً: أباً وأماً وتسعة من الأولاد، ولم يبقَ من الأسرة إلا طفل في العاشرة، نجا لأنه بقي عند جدته ولم يخرج معهم، ثم وقف ذلك الطفل يشهد دفن أبيه وأمه وإخوته جميعاً.

فتأملوا كيف يمكن لحادث واحد أن يطفئ بيتاً كاملاً، وأن يغيّر حياة طفل في لحظات.

وإذا قارنا أنفسنا ببعض الدول المتقدمة في السلامة المرورية، أدركنا أن أمامنا مجالاً واسعاً للتحسن؛ فقد قدّرت منظمة الصحة العالمية معدل الوفيات المرورية في

المملكة -بحسب بياناتها الدولية- بنحو ثماني عشرة وفاة لكل مئة ألف نسمة، بينما تنخفض هذه النسبة في بعض دول-الجوار- إلى نحو ست وفيات، وفي دول أخرى إلى أقل من ثلاث وفيات لكل مئة ألف نسمة.

وهذا يدل على أن خفض الوفيات المروية إلى مستويات أدنى هدف ممكن متى تكامل الوعي، حين يصبح احترام الطريق ثقافة وسلوكاً وأمانة.

إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة:

١٩٥ ومن أعظم مقاصد شريعتنا حفظ النفوس. فليس من العقل ولا من الشرع أن يعرض الإنسان نفسه والآخرين للهلاك من أجل دقائق يختصرها، أو رسالة يقرأها، أو سرعة يستمتع بها.

وقد كشفت الإحصاءات الرسمية للعام الماضي أن من أبرز الأسباب المسجلة للحوادث المروية في المملكة: عدم ترك مسافة آمنة، والانحراف المفاجئ،

والانشغال أثناء القيادة، إضافة إلى عدد من المخالفات
المرورية الأخرى.

تأملوا أن كثيرًا من هذه الأسباب سلوكيات يستطيع
السائق أن يتجنبها، فالحادث في كثير من الأحيان لا يبدأ
بعطل في السيارة، ولا بخلل في الطريق، وإنما يبدأ بقرار
خاطئ في ثوانٍ يقول في نفسه:

سأدرك الإشارة قبل أن تُغلق.

الطريق خالٍ، سأزيد السرعة قليلًا.

سأقرأ الرسالة سريعًا.

لن يحدث شيء. ثم يحدث ما لا يمكن إصلاحه.

وحين يقع الحادث لا تنتهي القضية عند مركبة

تحطمت، أو مخالفة سُجلت؛ فقد تكون نفسًا أزهقت،

ودمًا يحمله في ذمته، وحقًا للعباد يلقي الله به.

احترام أنظمة المرور ليس خوفًا من كاميرا، ولا

رهبةً من مخالفة فحسب؛ بل هو وعيٌّ، ومسؤوليةٌ، وحفظٌ

للنفوس والحقوق.

والمسؤولية لا تقف عند السائق وحده؛ فالأب مسؤول عمن تحت يده، فلا يمكن صغيراً لا يحسن القيادة، ولا شاباً عُرف بالتهور من مركبة يخشى أن يؤذي بها نفسه أو الناس؛ فالحزم هنا رحمة، والمنع عند الخوف من الضرر حفظٌ للنفس وللآخرين.

إن الطريق لا يحتمل التجربة؛ فالخطأ في غيره قد يُستدرك، والكلمة قد يُعتذر عنها، والمال قد يُعوّض، أما الخطأ خلف المقود فقد يقع في لحظة لا تملك بعدها فرصة للتراجع. فاجعلوا حفظ الأرواح مقدّماً على العجلة، والسلامة مقدّمةً على الوصول.

في المجلس: تفضل.. وفي الطريق: أنا أولاً!

عباد الله، من صور الخلل التي تستحق التأمل ازدواجية المعايير بين أخلاقنا في المجالس وأخلاقنا في الطرقات.

ألقاك في بيتي فأرحب بك، وأحتفي بقدمك،
أقف عند بابٍ لأقدمك على نفسي، وأقول لك: تفضل،
وأرى من سوء الأدب أن أسبقك إلى الدخول.

ثم نلتقي بعد دقائق في الشارع، فإذا بعضنا يزاحم
بعضًا، ويقطع عليه طريقه، ويضيق عليه مساره، ويرفض
أن يفسح له مجالًا، وربما غضب من سائقٍ لمجرد أنه
دخل في مساره أمامه!

ما الذي تغير؟ نحن الأشخاص أنفسنا، ولكن
المعيار الأخلاقي تغير بتغير المكان. في المجلس: تفضل
أنت قبلي. وعند الباب: تقدم أنت. وفي الطريق: أنا أولاً!
وهذه صورة من التناقض الاجتماعي؛ إذ لا ينبغي
أن تكون أخلاقنا ثوبًا نرتديه أمام الضيوف ثم نخلعه حين
نغلق باب السيارة.

والمسلم لا تتجزأ أخلاقه باختلاف الأمكنة؛ قال
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده». فكيف بمن لم يسلم الناس من قيادته وتهوره؟

الشارع مرآة المجتمع.

إن الشارع من أصدق الواجهات الثقافية للمجتمعات؛ لأن الإنسان فيه يتعامل مع أناس لا يعرفهم، ولا ينتظر منهم ثناءً ولا مجاملة. وهنا يظهر مقدار احترامه للنظام وحقوق الآخرين، وقدرته على ضبط نفسه.

ولهذا تستطيع أن تقرأ جانباً من وعي مجتمع كامل من خلال الشارع: كيف يتعامل الناس عند التقاطعات؟ كيف يفسحون للمشاة؟ كيف يحترمون الطوابير والمسارات؟ ماذا يفعل السائق حين لا يراقبه أحد؟ فالتحضر لا يظهر في جمال المباني واتساع الطرق فحسب، وإنما يظهر في سلوك الإنسان وتعامله مع الآخرين.

إننا لا نريد أخلاقاً للمجالس، وأخلاقاً أخرى للشوارع؛ بل نريد خُلُقاً واحداً يحكم الإنسان حيثما كان. فليكن الطريق شاهداً على وعينا، لا شاهداً على تناقضنا، وفيه يُختبر احترام الحقوق حين تغيب المجاملة،

ويظهر مقدار ما تحمله العقول من وعي، والنفوس من تهذيب.

وُلِّدَ فِي ١٥ / ٣ / ١٤٤٨ هـ

أ.د. عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد